



الفصل الثانى : مدخل تاريخى لعذاب القبر :

تمهيد	
عقيدة الحياة بالقبور عند قدماء المصريين وتأثر الروايات بها	
الإيمان بالروح	
صعود الروح للسماء	
سؤال الموتى	
محاكمة الميت	
المنجيات من عذاب القبر	
الكهنة وسيكولوجية عذاب القبر	
عودة الحياة للمقبور (الرجعة) بالقرآن	
تسلل فلسفة الرجعة إلى المسلمين	



الفصل الثاني : مدخل تاريخي لعذاب القبر :

مهيّد

تقوم فلسفة عذاب القبر على أساس " حياتي " فى القبر ، فالميت تعود إليه " روحه " مرة أخرى سواء كان شريراً أو صالحاً . وبدون هذه الروح فلن يتم أى شيء أو حدوث تفاصيل العذاب المفترى .

وعودة الروح عند " العذابقبريين " لا تعنى عودة الأمور إلى ما كانت عليه قبل الموت ، وإنما تعنى حياة من نوع آخر يتم فيها فقد الجسد مع بقاء الروح بالمقبرة ، وعلى ذلك فمن المفترض أن يقع العذاب على روح الجثة لا على الجثة نفسها ولا على الشخص نفسه كما كان حياً .

وبرغم أن روح الإنسان التى يدندن عليها الرواة هى أمر خيالى (كما سيبدو على صفحات هذا الكتاب) إلا أن المنشأ كان قديماً .

والناظر للتاريخ الإنسانى القديم يجد أن قدماء المصريين كان لهم بصماتهم القوية فى تاريخ الأمم المعاصرة والتالية لهم ، ومن ذلك ما تسرب إلى عقيدة الموت والقبر والآخرة عند لاحقهم .

وجدير بالذكر أن نذبه على أوجه التشابه بين ما جاء بمثل هذه العقائد القديمة وبين ما تسرب إلى أهل الروايات منها .

عقيدة الحياة بالقبور عند قدماء المصريين وتأثر الروايات بها :

● الإيمان بالروح :

للروح عند المصريين القدماء شأن عظيم ، فقد آمن المصريون بأن كل إنسان له " روح " تنفصل عنه عند الموت ثم تعود إليه فى القبر .

وهو نفس اعتقاد المؤمنين بعذاب القبر (العذابقريون) والوارد برواياتهم التى

يؤمنون بها (٢٧٧) .

● صعود الروح للسماء :

ففي الدولة القديمة كان **صعود روح الملك المتوفى إلى السماء** يتم عبر سلم علوي عظيم أو وهو قابض على ذيل البقرة السماوية أو وهو محلق كطائر أو محمول على دخان البخور المحترقة من الكاهن أو عاصفة رملية . الخ . أما الاعتقاد الذي استقر بعد ذلك فهو خروج الروح على شكل طائر برأس إنسان .

ونلاحظ أن فكرة **صعود الروح للسماء** قد **تسرب إلى عقيدة "العذابقبريين"** لما هجروا القرآن لأقوال الرواة (٢٧٨) مع إنعدام ذكر ذلك بالقرآن [القطعي].

القبر كان بالنسبة للمصري القديم هو بيت أبدي (٢٧٩) ، ولذا

277 - ففي مسند الإمام أحمد بن حنبل : (٢٨٧/٤) نجد : " فتعاد **روحه** (أي الميت) في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله ﷺ فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت فينادى مناد في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول له من أنت فوجهك الوجه يجئ بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي . . . " الحديث .

278 - وفي نفس المرجع السابق نجد : " ان المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجئ ملك الموت (عزرائيل) عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملا من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة . . . " الحديث .

279 - ولما كانت عقيدة الموت والخلود لدى المصريين القدماء سائدة في فكر الشعب المصري ، فقد كان من اللازم الحفاظ على الجسد لتهتدي إليه الروح بعد الموت ليحيى حياة أخرى . اهتم المصريون إذن بحفظ جثث الموتى عن طريق تحنيطها ووضعها في قبور حصينة وقد كان بناء الأهرامات الضخمة للملوك شاهداً على هذا الاهتمام .

تفانى القادرون فى الاهتمام به وأعدوا له قبل موتهم بزمان . كما كان
يقام مبنى بجوار القبر يُعد لزيارة الأحياء للميت . كما كانت الأشجار
والنباتات تُزرع فى فناء المبنى . وكان التابوت المصنوع على هيئة
المومياء يوضع فى تابوت آخر من الحجر ويوضع معه بعض العتاد مثل
العصي والأسلحة والتمايم ، ثم يقفل التابوت الحجري بغطاء ثقيل
ويوضع بجانب التابوت الأواني الكانوبية التي توضع فيها أحشاء الميت
وتتخذ أشكال أبناء حورس الأربعة داخل صندوق خاص . ثم توضع
المواد الغذائية للمتوفى التي تسمى " الأوزيربات النابتة " وهي عبارة
عن إطارات من الخشب على شكل أوزيريس محنط وبدخلها كيس من
القماش الخشن يملئ بخليط من الشعير والرمل .

● سؤال الموتى :

وقد آمن المصريون القدماء بأن الروح تتعرض بعد الموت لمحاكمة
تتناول ما أتاه الميت فى دنياه من حسنات وسيئات ، فيجازى
المُحسن، ويعاقب المُسيء . وكانت المحكمة مؤلفة من ٤٢ قاضياً يمثلون
أقاليم مصر ، وعلى رأسهم الإله أوزيريس إله الموتى . ويدخل الميت
الذي يقف فى ثوب من الكتان أمام أوزيريس الجالس على العرش وخلفه
شخصيتان هما أختاه إيزيس ونفتيس إضافة للوحش أكل الموتى (٢٨٠)
ليقرّ بأنه كان على خير فى حياته ولم يصنع شرّاً يُذكر .

وقد اختفت شخصية إيزيس ونفتيس فيما بعد ليظهر بدلا منهما
المنكر والنكير (٢٨١) . والأفعوان الضخم (أو ملتهم الموتى) تحول إلى "

280 - وهو الملتهمة أو الغول ، وهو وحش خرافي مزيج من التمساح والأسد
وفرس البحر ، وفى رواية أخرى هو أفعوان ضخم مخيف يلتهم الميت الذى تثبت
إدانتته .

281 - ففى سنن الترمذي (٢٦٧/٢) نجد (مع حذف السند للاختصار :

" باب ما جاء في عذاب القبر :

١٠٧٧ عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا قبر الميت (أوقال أحدكم)
أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان : ما كنت تقول

الشجاع الأقرع " أو الأعمى الأصم ذو المطرقة الحديدية (٢٨٢) . أما أوزوريس ، أو أوزيرس أو العزيز فقد تحول من إله للموتى إلى معبود عند بعض اليهود : " وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ " . ثم تحرف اسم " عزيز " وأضيف له " ئيل " ، لينضم لـ : " جبرائيل وميكائيل ، وإسرافيل " . وأصبح **عزرائيل** هو ملك الموت بدلاً من إله الموت (٢٨٣) ، ومن ثم انتشر اسم عزرا بين اليهود .

وعود لمحاكمة المصريين القدامى (٢٨٤) ، فقد كان قلب الميت يوضع

في هذا الرجل ؟ . . . " الحديث .

282 - ففي صحيح البخارى (١١١/٢) نجد :

قال رسول الله ﷺ : من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شذقيه . . " الحديث .

وفى مسند أبي داود الطيالسي (ص ١٠٣) :

" عن البراء عن النبي ﷺ فيقيض له ملك أصم أبكم معه مرزبة لو ضرب بها على جبل صار ترابا أو قال رميما فيضربه بها ضربة يسمعها الخلائق إلا الثقلين ثم يعاد فيه الروح فيضربه ضربة أخرى " .

283 - وقد توسع الأستاذ الدكتور أحمد صبحي منصور فى هذه الجزئية وبيان تأثير اليهود بالفراعنة فى كتابه : " مع القرآن الكريم - الطبعة الثانية - ١٩٩٩ - طبعة المثقفون العرب - ص : ١١٠ - ١١٢ .

284 - محاكمة الميت :

كانت قاعة محاكمة الموتى فى العالم الآخر تسمى باسم قاعة التحقيق ، ويوجد بها أوزوريس جالسا على العرش وخلفه شقيقته إيزيس ونفتيس و١٤ نائباً ، وفى وسط القاعة يوجد ميزان كبير وبجانبه وحش لحمايته ، كما يوجد فى القاعة أيضاً تحوت وأنوبيس .

وتبدأ إجراءات محاكمة الميت عندما يقوم أنوبيس بإدخال الميت مرتدياً ثوباً من الكتان ثم يحي أوزوريس وباقي الآلهة ، ثم يدافع الميت عن نفسه **36** مرة لأنه يخشى ألا يصدقوه فيعيد إقراره الدال على براءته متوجهاً نحو الـ ٤٢ إلها (كانت مصر مقسمة إلى ٤٢ إقليماً فكان كل إله يمثل إقليماً من أقاليم مصر) وبعد ذلك يذكر الميت كيف كان خيراً يعطي الخبز للجائع ويقدم الماء للعطشان ويكسى العاري .

ثم يوضع قلبه فى كفة الميزان وفى الكفة الأخرى تمثال صغير للحقيقة (معات) ولم يذكر تفصيلاً كيف يوزن قلب الميت ولا أحد يعرف هل الآثام كانت تثقل القلب أم تجعله خفيفاً ؟ وإذا أثبت أن هذا الرجل بريئاً كان له الحق فى الحياة والسعادة فى العالم الآخر أم إذا كان مخطئاً فإنه يدمر بواسطة الملتهمة (وحش خرافي مزيج من التمساح وأسد و فرس البحر) .

فى إحدى كفتى ميزان ، وفى الكفة الأخرى توضع ريشة تمثل الإلهة "معات" إلهة الصدق والعدالة وابنة الإله "رع" ، فإن خفت موازينه كان ذلك دليلاً على أنه طاهر فيكون مصيره الجنة ، أما إذا ثقلت موازينه كان ذلك دليلاً على أنه آثم فيساق إلى عذاب الجحيم . واعتقاد المصريين القدماء فى الثواب والعقاب فى الآخرة ، دفعهم إلى تسجيل أعمالهم الحسنة ، والتبرؤ من أعمالهم السيئة [اذكروا محاسن موتاكم] .

● المنجيات من عذاب القبر :

كان المصرى القديم يعرف أن بعض الناس فقط هم الذين سوف يحظون بالنعيم فى الآخرة ؛ ولذا كان شغله الشاغل هو ما سيحدث له فى المحاكمة . وقد استغل الكهنة تلك الحثيثة فروجوا لبعض التمايم والنصوص السحرية التى تحمى الميت وتبرئه فى المحاكمة (٢٨٥) . كما وضع الفصل ١٢٥ من كتاب الموتى (٢٨٦) لتخليص المذنبين من خطاياهم . وكان هذا الفصل يذسخ على ورق بردي ليوضع داخل التابوت بين ساقي المومياء ليبرأ ساحة الميت ، وكان الكهنة يتحايلون بهذه الطريقة على الشعب حيث أوهموهم أن بمساعدة النصوص السحرية يمكن أن تبرأ ساحة الميت وإن كان مخطئاً .

ونلاحظ تأثر عقيدة العذابقبريين بهذه الحثيثة عندما قالوا بأن هناك أوراداً تُقال للنجاة من عذاب القبر (٢٨٧) .

285- ومن هذه الصيغ السحرية صيغة تجعل إله الشمس (الذي يعتبر القوى الحقيقية وراء تلك المحاكمة) يسقط من سماواته فى النيل إذا لم يخرج ذلك الميت برئ الساحة من المحاكمة .
286- " كتاب الموتى " هو اسم أطلق على مجموعة كبيرة من النصوص الجنائزية المصحوبة برسوم والتى ترجع إلى تواريخ مختلفة ووُجدت فى أماكن مختلفة. وتحتوى هذه النصوص الدينية على صيغ سحرية وتراويل وصلوات غرضها هو (حسب اعتقاد قدماء المصريين) توجيه وحماية الروح (كا) أثناء رحلتها فى عالم الموتى (أمينتى). وقد اعتقد قدماء المصريين أن معرفة هذه النصوص من شأنها أن تجذب الروح معوقات الشياطين التى تحاول أن تُعرقل تقدمها ، ومن شأنها أيضاً مساعدة الروح على اجتياز اختبارات الـ ٤٢ قاضياً التابعين للإله "أوزيريس" فى العالم الآخر .
287- وذلك كقولهم : إن سورة الفاتحة تمنع غضب الله ، وسورة يس تمنع عطش يوم

● الكهنة وسيكولوجية عذاب القبر :

اعتمد الكهنة على إشاعة واستمرارية أسطورة عذاب القبر ، حيث كان هذا الترهيب هو أحد العوامل الهامة جدًا التي ساعدت في التغاف الشعب حول الكهنة باعتبار أنهم هم طريقهم للنجاة والخلاص من كابوس عذاب القبر .

وفى أيامنا الحالية والحالية يتفنن المشايخ فى تعميق رعب المريدين من عذاب القبر ليصيبوهم بالرهاب منه بحجة دفعهم عن المعاصي المسببة له . ونشأت حوارات الشجاع الأقرع وحوارات القبر ، وأضاف إليها من أضاف لتصير فى النهاية عبارة عن ملحمة من ملاحم الرعب . ومن المعلوم أن أفلام الرعب تنافس على تحقيق أعلى الإيرادات .

وهؤلاء المرعوبون من عذاب القبر يسهل على المشايخ سياستهم لما بعد ذلك ، فلا مانع من توظيف الأمر " للصالح العام " !!

أما تدبر القرآن وإرضاء رب القرآن فقد صار فى خبر كان !!

عودة الحياة للمقبور (الرجعة) بالقرآن :

ذكر الله تعالى الرجعة فى القرآن ، ولكنه سبحانه ذكر وقوعها لبعض الأموات فى الحياة الدنيا لا فى القبور ؛ فقال سبحانه عن بنى إسرائيل :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٥ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢٨٨) .

وقال سبحانه : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ

القيامة ، وسورة الدخان تمنع أهوال يوم القيامة ، وسورة الواقعة تمنع الفقر ، وسورة الملك تمنع عذاب القبر ، وسورة الكوثر تمنع الخصومة ، وسورة الكافرون تمنع الكفر عند الموت . . الخ .
288 - سورة البقرة : ٥٥ - ٥٦ .

لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴿٢٨٩﴾ .

إذن فقد عاد بنو إسرائيل إلى الحياة بعد الموت . وعاد ذلك الرجل بعد موته بمئة عام . ولكنهم عادوا إلى الحياة الدنيا وعاشوا كما هم الأحياء ، ولم يقل أى نصّ بكتاب الله أن هناك رجعة ستكون بالقبور !

تنسّل فلسفة الرجعة إلى المسلمين :

تسللت فكرة الرجعة بشقيها (فى الحياة الدنيا وفى القبور) إلى المسلمين أول الأمر إلى الرافضة الشيعة (كما قيل عندهم) عن طريق الرافضى " عبد الله بن سبأ " (٢٩٠) الذى قال :

إن علياً سيرجع إلى الدنيا مرة أخرى ، وأنه لم يُقتل بل شُبه لقاتله ، ورُفع عليّاً إلى السماء ، واشتبه الأمر على المسلمين كما اشتبه على اليهود والنصارى قتل عيسى (٢٩١) !

ثم انتقل الأمر إلى بقية الرافضة (فضموها لمبادئهم الخمسة التى جعلوها لمذهبهم) ولكنهم جعلوها فضفاضة تتسع لكل الأئمة الإثنا عشر، وللأنبياء حتى إنهم قالوا بإفكهم أن أم المؤمنين عائشة سترجع أيضاً لكى يقيم عليها على بن أبى طالب الحدّ لخروجها عليه (٢٩٢) !!

289 - سورة (٢) البقرة : ٢٥٩ .

٢٩٠ - وعبد الله بن سبأ هو : يهودى أصله من اليمن ومشهور بـ " ابن السوداء " لسواد أمه ، ومات نحو سنة ٤٠ هـ ، ٦٦٠ م ، وراجع : الأعلام للزركلى : (٨٨/٤) .
٢٩١ - راجع : مقالات الإسلاميين للأشعرى : (١ / ٥٠ - ٥٤) ، والفرق بين الفرق : (٢٢٥) ، والملل والنحل للشهرستانى : (٢ / ١١) ، وتاريخ المذاهب الإسلامية لإبى زهرة : (١ / ٤٢ - ط : دار الفكر) .

٢٩٢ - يقول محمد الباقر المجلسى فى حياة القلوب (بالفارسية) :

" ابن بابويه در علل الشرائع روايت کرده است از حضرت امام محمد باقر محمد باقر عليه السلام كه چون قائم ما ظاهر شود عائشه رازنده كند نابره وند نمرود و انتقام فاطمه از او بكشد " .

ومعناه بالعربية هو : " يروى ابن بابويه فى علل الشرائع أنه قال الإمام محمد الباقر عليه السلام : إذا ظهر الإمام المهدي فإنه سيحيى عائشة ويقيم عليها الحد

ولذا نجد أن عبد الله شبر الذى يلقب عند الروافض الشيعة بالسيد الأعظم (٢٩٣) يقول فى كتابه حق اليقين :

" إن ثبوت الرجعة مما اجتمعت عليه الشيعة الحقّة ، والفرقة المحققة ، بل هى من ضروريات مذهبهم " (٢٩٤) !

والرافضة قاطبة يقولون بهذا ، وينتظرون المهدي ، ورجعة الأئمة ، ورجعة الأنبياء (٢٩٥) .. الخ . ثم تسللت فكرة الرجعة من الرافضة إلى أهل الحديث من أهل السنة (مع تغيير الأحداث) حتى صارت ديناً !

أما رجعة الروح للجسد بالقبر والتي آمن بها أهل الحديث فتصطدم بآيات القرآن من الفاتحة إلى الناس . ورواياتهم فى هذه الملحمة الميلودرامية هى مثال لاضطراب المتون ومناقضة القرآن .

وسنعرف فى السطور القادمة كيف أنه لا توجد روح داخل الجسد ، وإنما هى الحياة التى يخلقها الله تعالى كما يخلق الموت :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ .

انتقاماً لفاطمة .. " .

وقد نقل المجلسى هذا الهراء والكذب عن ابن بابويه بكتاب : حق اليقين له : (٣٧٨) ، وبكتاب " حياة القلوب " : (٢ / ٨٥٤) ! وبرغم أن ابن بابويه يروى هذا الهراء عن زوج رسول الله ﷺ أم المؤمنين إلا أن الذهبى قد سَوّد صفحات كتابه " سير أعلام النبلاء " (١٦ / ٣٠٣ - ت ٢١٢) بترجمة هذا الرافضى البغيض ؛ فجعله من النبلاء !

٢٩٣ - عيد الله شبر هو أحد علماء الرافضة المتأخرين ، ولد سنة ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤م وتوفى سنة ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦م . ألف العديد من الكتب منها الكتاب المذكور أعلاه واسمه : " حق اليقين فى معرفة أصول الدين " ، و " فقه الإمامية " ، و " مصابيح الأنوار " ، و " الأنوار اللامعة فى شرح الجامعة " تفسير القرآن (بهواهم وزيفهم) وراجع رسالتى : " إحكام الشريعة ببيان استحالة حدوث أى تقارب بين أهل السنة وأهل الشيعة " . وراجع فى ترجمة المذكور : معجم المؤلفين للأستاذ عمر رضا كحالة : (٢٤٦/٢ - ت ٧٩٦٨) ، ومعجم المؤلفين العراقيين للدكتور عواد : (٢ / ٣٢٧) .

٢٩٤ - انظر : حق اليقين لعبد الله شبر : (١/٢) .

٢٩٥ - راجع أيضاً الإرشاد فى حقوق الله على العباد لعبد الله شبر (٣٩٨ - ٤٠٢) وعقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر (٦٧ - ٦٨) .

وَأَن التزاور ءرة أُخرى بىن الحىاة والءسء لا يكون إلا يوم القىامة :
﴿وَإِذا النُّفُوسُ زُوجَتْ﴾ .
وللبىان :